



لماذا بأس المسلمين بينهم شديد ، وقلوبهم شتى؟!

بقلم : رائف محمد الويشي

30 مارس 2012

من المؤلف أن عنوان المقال يحمل درجة كافية من الصدقية ، على القارئ أن يتذكر تاريخنا البعيد والقريب ليرى كم يتسع الرقع على الخارق في كل يوم ، على القارئ أن ينظر إلى أوضاعنا الحالية – كشعوب على الأقل – ويقارن بمثيلتها في الدول الغير إسلامية ..

أنظر ماذا يحدث في تلك الدول المسيحية " الكافرة " إذا تدمر الشعب فيها واحتج على قائده فقرر خلعه ، وقارن ذلك بمثيله في بلادنا الإسلامية " المؤمنة " حيث يؤثر قادتنا دنياهم على آخرتهم حتى الموت أو القتل ..

لقد خرج الشعب الفرنسي محتجا على قائده تشارل ديغول في عام 1969 ، ديغول الذي وحد فرنسا وحررها ويعتبر حتى الآن بمثابة الأب الكبير لكل الفرنسيين ، قدم الرجل استقالته بهدوء واعتذر منسحبا ولزم بيته ، هاج الفرنسيون في الشوارع وطالبوا بعودته فرفض إلا من خلال الصندوق الانتخابي ، وعاد ديغول منتخبا كما أراد ..

في بلادنا الإسلامية " المؤمنة " إذا خرج الشعب يوما ليستجدي " فترة الزمان " ليرفع الظلم عنه ، فلا بد أن هناك مؤامرة خارجية وأيدي خفية تعبت بأمن البلاد ، فيتم شحن الأسلحة الخفيفة والثقيلة وما فوقها لمجابهة الخونة المتصلين بالخارج ..

في العراق وقف يوما المهيب الركن القائد صدام حسين – حاصل على الثانوية العامة – وقال في خطاب له " إذا جرت محاولة لإقصائي عن الحكم ، فسوف يتسلم العراقيون أرضا بلا شعب " ، وقد ردد عبارة " أنا الذي بنيت العراق وهو يقف أمام المشنقة " ..

في المغرب ابتكر ملكها – يسمونه هناك بأمر المؤمنين – طرقا عدة لقتل معارضيه ، فأولئك الذين عارضوه سلميا كان يرميهم من طائرات الهلوكبتر ، وأحدهم –أستاذه الذي علمه وهو المهدي بن بركة – رماه بلحامض المركز ، أما أولئك الذين حاربوه – منهم اللواء أوفقيير وزير داخلية – فقد سبى نساءهم وبناتهم بقصره ، ولما هلك هربن لهاريس وقصصن ما كان يفعله " أمير المؤمنين " معهن ..

في اليمن قال الفريق الركن عبد الله صالح (معه الابتدائية وكان شاوليشا متطوعا) قبل شهر من إقصائه في صوت دمره القات : " لن أترك اليمن إلا بوصولها إلى المستوى الذي كانت فيه من 32 عاما عندما تسلمتها " ، وقد استخدم طائرات الميج 29 في قصف شعبه ..

في السودان وقف الفريق الركن عمر البشير في خطاب مفتوح على الشعب وقال نصا " لقد تسلمناها بالقوة ، فمن أراد الحكم فعليه أن يسلك طريقنا " ، وقتل في عهده الميمون ما يقرب من مليون إنسان ..

في مصر جثم الفريق الركن حسنى مبارك على صدر شعبه لثلاثين عاما ، ومارس هوايته في إذلاله ونهبه ، ولما دقت الساعة قال في خطباته الأخيرة محذرا الملايين المحتشدة " أننا ضمانة لاستقرار مصر ، وعلى الشعب أن يختار إما الاستقرار وإما الفوضى " ، وعلى طريقه يسير مجلسه العسكرى ، يشعلون النيران بالبلاد ليستجديهم الناس بالبقاء ..

في ليبيا استعمل الأخ القائد معمر القذافي – قام بحركته المسلحة وهو برتبة ملازم أول - مضادات الطائرات بدلا من البنادق الآلية لوقف مظاهرات إخوته ، وقال - متشبها بما قال صالح في اليمن وصدام في العراق - " لقد بنيت ليبيا طوبة طوبة وحجر وحجر " ..

في سوريا وقف أحد أعضاء مجلس الشعب يلقي خطبة على الهواء في حضور بشار بن أبيه قال فيها " والله يا سيادة الرئيس قيادة العالم العربي صغيرة عليك ، أنت تستحق قيادة العالم " ، فلما فاض شعبه بقيادته لسوريا أمر أسد العروبة بشار – طيب عيون قفز إلى السلطة بعد هلاك أبيه - جيشه المسمى " حماة الديار " بقطف الرجال الأطفال والنساء واغتصابهن ، وما زال حتى الآن يقاوم سقوطه بمزيد من

قتل شعبه ، رغم علمه التام أن مصيره في أفضل التوقعات هو أن يغادر سوريا سيرا على الأقدام ، أو يلتقى ما لاقاه " الأخ القائد " في ليبيا .. ومن المبكيات المضحكات أنه سُئل في أعقاب تسلمه لسدة الحكم عن أسباب اختياره لطب العيون فقال لهم " إنه التخصص النادر الذي لا يرى فيه الطبيب منظر الدماء ، وأنا طبيب من هؤلاء !! " ..

أنظر إلى الاختلاف في وجهات النظر عند قادة الدول المسيحية " الكافرة " ، وقارن ذلك بما يحدث بين الدول الإسلامية " المؤمنة " من اختلاف لوجهات النظر ..

في تلك الدول المسيحية " الكافرة " تعقد كل المؤتمرات لسببين فقط ، إما للتوقيع على اتفاقية للمصالح المشتركة ، وإما لمتابعة تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في الاتفاقيات السابقة ..

في بلادنا الإسلامية " المؤمنة " تعقد كل المؤتمرات إما لمناقشة القضايا الحدودية ، وإما لما قاله الزعيم الملهم زيد ضد زميله العبقري عبيد ، وجميع النوابغ يجلسون على الطاولة وقد شدوا وجوههم وصبغوا شعرهم وتفقوا حواجبهم ، ثم تكون نهاية المؤتمر أسوأ من بدايته ، وقد مُنعت طفايات السجائر الزجاجية من التواجد في أحد مؤتمرات القمة العربية ، لأن الأشاوس يتقاذفون بها فيما بينهم ..

أنظر إلى العلاقة بين القيادة السياسية وشعوبها في الدول المسيحية " الكافرة " ، وقارن ذلك بالعلاقة بين القيادة السياسية في الدول الإسلامية " المؤمنة " وشعوبها ..

إن أساس العلاقة بين الحاكم وشعبه في تلك الدول " الكافرة " هو الاختيار عن قناعة ورضا ، ثم الاحتكام للدستور والتأكد من تطبيقه على الجميع من القائد مروراً بالوزير وانتهاء بالغير .. كلنا يذكر أن إحدى بنات الرئيس السابق الابن جورج بوش قد تم اعتقالها أثناء فترة حكمه لمخالفتها قوانين بشراء الخمر لمن هم أقل من 21 سنة ، كانت حينها قد اشترت خمرًا بهوية لصديقتها فقبض عليها ..

في صيف 1977 قدم رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين – يهودي كافر !! - استقالته من منصبه لأن جهاز هم الرقابي اكتشف وجود حساب مصرفي لزوجته في بنك غير إسرائيلي (كان بنكا أمريكيا أثناء فترة عمله كسفير في واشنطن من سبع سنوات سابقة) وهو ما يخالف الدستور ، المثير أن قيمة الحساب كانت أقل من مائتي دولار ، لكن مشكلة هؤلاء " الكفرة " هي أن القانون عندهم على الجميع ، حتى لو كان المبلغ تافها ، وحتى لو كان صاحب القضية هو رأس الدولة ، وحتى لو كانت القضية من زمن بعيد وطواها النسيان ..

أما أساس العلاقة بين القائد وشعبه في بلادنا الإسلامية " المؤمنة " فهي تتمحور في التسلط والتحكم وفرض الهيبة على الشعب والاستعلاء عليه ، كأن القائد من طينة تختلف عن طينة شعبه ، أضف إلى ذلك نهب ثروة البلاد وانتهاك الحقوق الإنسانية للشعب ، ليس من جانب القائد وعائلته فقط بل يشاركه في ذلك بطانته وأفراد عائلاتهم ، وهم بدورهم لهم بطانة أخرى ، وهكذا ..

أنظر إلى عدد القتلى الذين سقطوا في النزاعات التي نشبت بين الدول الإسلامية " المؤمنة " ، وقارن ذلك بما سقط من قتلى إسرائيلييين سقطوا في نزاعاتنا معهم ..

لقد قتل عشرات الآلاف من المدنيين في بنجلاديش في عدة أيام قبل الاستقلال في عام 1971 على أيدي الجيش الباكستاني ، وقام الجنود الباكستاني باغتصاب كل امرأة أو بنت كانت في طريقهم أثناء انسحابهم من هناك ، لم يكن أمام شعب بنجلاديش من خيار إلا طلب النجدة من الهنود " المجوس الكفرة " الذين يقصدون البقر ولا يعبدون الله الواحد القهار ..
حسين " الهاشمي " في الأردن كان يربط نساء وأطفال الفلسطينيين على دباباته أثناء اقتحام قواته لمواقع المقاومة في سبتمبر عام 1970 ، حينها فتحت إسرائيل معبر اللبمى لإنقاذ الفلسطينيين الجرحى ، كما قتل مليون مسلم تقريبا بين إيران والعراق في حرب ضروس دامت لثمان سنوات وصاحب ذلك مليونان من الجرحى ..

أنظر إلى تاريخ الدول المسيحية " الكافرة " وإلى حرية تداول المعلومات بها ، ستجد أن ملفات البطولة وملفات الخيانة وما بينهما في مكانها تنتظر من يفتحها ، دون رتوش ، سواء كنت باحثا أو غفيرا أو وزيرا ستجد الحقيقة مجردة إن أردت الوصول إليها ..

على الباحث في بلادنا الإسلامية " المؤمنة " أن يقف طويلا أمام كل الملفات التاريخية التي تقدمها لنا الحكومات ، وعليه أن يقف أكثر أمام المعلومات والأرقام التي تصاحب حواضر تلك الحكومات ..

تاريخنا الإسلامي يضرب في جذوره الكذب والخداع ، وجرى ذلك قبل أن يوارى جثمان النبي (ص) الثرى ، فقد تركوه على فراش موته لأكثر من يومين في صيف يونيه (من عصر الاثنين حتى وقت متأخر من ليل الأربعاء) ليتسابقوا ظلما في سقيفة بني ساعدة على الحكم ، رغم وجود النصوص الواضحة في خلافته في أكثر من موضع ، كان آخرها يوم خطبة الغدير (18 ذى الحجة عام 10 هـ) ..

ملفات البطولة والخيانة في بلادنا " المؤمنة " إما ناقصة أو بها انتقائية فاضحة أو مقلوبة ، وهى فى عمومها طقسية وتخضع لمصلحة ومزاج من يحكم ، فقد يأتيتها الصيف ويقرر نابغة عصره أن الأمر يستدعى تعريتها ، وقد تهب عليها عواصف الشتاء الثلجية فيقرر " أمير الزمان " تغطيتها ، أو حتى التدفئة على نارها بإشعالها في خيمته ..

هذا عن تاريخنا المجيد ، أما عن حاضرنا المشرق ، فقل ما شئت ، الفريق الركن تسلم البلاد ممن سبقه وهى في حالة خراب ، والأرقام الرسمية تقول ذلك ، والشعب الآن إما أنه ينعم بالرخاء في عهده وإما أن عليه الصبر قليلا حتى يحصل عليه ، والأرقام الرسمية تقول ذلك أيضا ، ومن يخالفها سيكون عميلا للخارج ويعرض أمن الوطن والمواطن للخطر ..

انظر إلى الهاربين من الاعتقال في الدول المسيحية " الكافرة " وما يحدث لهم ولعائلاتهم ، وقارن بينهم وبين أمثالهم في الدول الإسلامية " المؤمنة التقية التي تخشى الله " ، ستجد أن الفارق كليل بإلقاء اليأس في القلوب التي ما زلات تنبض ..

في تلك البلاد " الكافرة " يعتبر الهارب من الاعتقال هاربا من العدالة ، فالقانون يكفل حمايته وعلى رجل الأمن – في حال اعتقاله – أن يوضح له حقوقه التي ينص القانون عليها ، وأهم هذه الحقوق أن يكون له المحامى الذي يختاره وأن يتمتع بحق الصمت إن أراد ذلك .. أما عن أفراد عائلته ، فلا ذنب لهم فيما فعله ، ربما - في أسوأ الأحوال - يتعرضون لزيارة من جانب أفراد الأمن يطلبون منهم فيها بأدب " الكفار " إقناعه في حال معرفة مكانه بتسليم نفسه لحمايته وتنفيذ العدالة ..

في بلادنا الإسلامية " المؤمنة " يعتبر الهارب من الاعتقال كالحيوان المفترس الهارب من الصيد ، وتختلف درجة التعامل مع أفراد عائلته باختلاف نوعيه وعمق ما فعله الهارب ، لو كان ممن سرق مال الشعب ، فالغالب أنه سيتم حمايتهم معه ، وقد يغادر البلاد بمساعدة رجال الأمن أنفسهم إذا دفع مبلغا متفقا عليه ، لو كان من أصحاب الرأي فقد يتعرض أبوه وأخوته للاعتقال أو الترحش ، لو كان من أصحاب الفكر الجهادي ، فالثابت أن أعراض نسائه (بناته – أخواته - زوجته – أمه) سوف يتم انتهاكها ..

انظر إلى دعاء المصلين في الدول المسيحية " الكافرة " في كنائس الآحاد ، وقارن بمثيله في الدول الإسلامية " المؤمنة " في نهاية خطبة الجمعة ودروس العلم ..

في كنائس هؤلاء " الكفرة " يدعون بأن يعم السلام والخير الأرض ، وفى مساجدنا يردد " المؤمنون " آمين كلما دعي حجة عصره : " اللهم اهلك اليهود والنصارى ، عبدة القردة والخنازير " ، " اللهم شئت شملهم " ، " اللهم دمر بيوتهم " ، " اللهم يتم أطفالهم " ، " اللهم إنهم لا يعجزونك فخذهم أخذ عزيز مقتدر " .. يؤكد تاريخنا الدموى وحاضرنا الزفت ومستقبلنا الأسود أن شملنا وليس شملهم هو الذي يشئت ، وبيوتنا وليست بيوتهم هي التي تدمر ، وأطفالنا وليس أطفالهم هم الذين يتم تيتيمهم ! ..

أذكر شيئا كبيرا ومعروفا في كل مساجد مصر ، كان الناس يطلقون عليه " إمام أهل السنة " ، قادتني الظروف التعيسة بثمانينات القرن الماضي يوما لأداء صلاة المغرب بمقر جمعيته بالإسعاف بوسط القاهرة ، في أعقاب الصلاة استعد الشيخ لإلقاء درس ، كانت الأصوات تصدر من مكان السيدات ، طلب " العلامة " منهن الصمت ، كان صوته يخلو من صفاء ، كأن الثقب قد ضربت حنجرته ..

فشل " إمام أهل السنة " في فرض الانضباط الذي كان يريده ، لا تنسى أنه يملكون " الهيبة " التي يملكها العسكري عندنا ، إنها تلعب برؤوسهم وتجعلهم في حالة استعلاء دائم ، نفس المرض ونفس الأعراض .. ترك " العلامة المهيب " الدرس جانبا وطلب من المؤمنين أن يأمنوا على دعائه : " اللهم احرق قلب كل سيده من هؤلاء على أولادها " ، " اللهم كما أفسدن علينا جلستنا فأفسد عليهن بيوتهن " ، " اللهم كذا وكذا " .. الملفت – بل قل المفزع – أن الآلاف من " المؤمنين " المحتشدين في أركان المسجد وأمامه كانوا يصرخون في صوت واحد " آمين " .. غادرت المكان فورا وأنا أنظر إلى الوجوه وهى كانت تردد " آمين " ، كأنها في طريقها لتحرير القدس ، دفعت ليلتها أظافر أصابعي

العشرة ثمنا باهظا ، ولولا المشكلة الجغرافية لواجهت أطراف أصابعي العشرة الأخرى نفس المصير ..

أنظر إلى اليافطات المنتشرة في مساجد مصر " المؤمنة " والتي تحذر المصلين بأن ينتبهوا إلى أخطائهم ، وقارن بالوضع القائم في الدول المسيحية " الكافرة " ..

من منا لم يمر بتجربة سرقة حذائه بالمسجد أو لم يعرف صديقا أو قريبا مرّ بتلك التجربة ! ، من منا لم يدخل المسجد ولم يضغط على عقله طوال الصلاة السؤال الكارثي " ماذا أفعل لو سُرق حذائي "؟! ، من منا لم تذهب عيناه بمجرد الانتهاء من الصلاة في المسجد إلى مكان حذائه كي يجد حلا سريعا للكارثة ..؟

دخل صديق لي يوما أحد مساجد مصر وهو يرتدى عباءة صوف من الخليج ، كان يعتز كثيرا بها ، فقد كانت تعود لأبيه الذي توفي ، وقف يؤدي ركعتين بعد أن وضع العباءة بجانبه ، ما أن انتهى حتى اكتشف أنها اختفت ، كان المسجد خاليا إلا من رجل آخر خلفه بعدة أمتار يقف في خشوع يؤدي الصلاة مرتديا عباءة تشبه عباءة صديقي ، هرع صديقي خارج المسجد كي يلحق باللص الذي سرق عباءته ، عاد فوجد الرجل قد انتهى من صلاته وفي يده مسبحة يذكر الله ، سأله صديقي ببراعة شديدة إذا كان قد لمح اللص الذي سرق العباءة ؟ فرد عليه الرجل بسؤال آخر : ما لونها ؟ ، أجاب صديقي : " إنها في لون عباءتك " ، قال الرجل : " عوضك على الله يا ابني ، خلاص الناس هتاكل بعضها ، كل ده بسبب قلة الإيمان ، أعوذ بالله من غضب الله " ، ثم استغرق في ذكره مع مسبحته ! ..

أعيش هنا في ولاية ميزوري " الكافرة " حيث يترك أصحاب المنازل المقاعد والطاولات غالية الثمن في حوائقهم الخلفية أو الأمامية وقد يتغيبون عن المنزل لأسابيع ، عند عودتهم يجدون كل شيء في مكانه ، كما يضع الأطفال دراجاتهم والكثير من ألعابهم بحديقة منازلهم الأمامية لأيام وغير بعيدة عن حافة الشارع ، لا يساورهم شك بأن أطفال الجيران سيسرقونها .. لك أن تفكر للحظة ما قد يحدث في بلادنا " المؤمنة " للمقاعد والطاولات وألعاب أطفالك لو أدركت ظهرها عنها لدقائق ..

أنظر إلى مستوى الأسعار في أعياد الكريسماس والأعياد الوطنية في الدول المسيحية " الكافرة " ، وقارن ذلك بما يحدث داخل بلادنا " المؤمنة " في أعيادنا الدينية ..

ستجد أن الأسعار تنخفض إلى أدنى مستوى في تلك البلاد " الكافرة " ويقدمون برامج للبيع بالتقسيط ، ستجد أيضا أنهم يبيعون الملابس في آخر الموسم التابع لها بسعر تكلفتها ، وربما بأقل من ذلك بكثير ..

لماذا يرتفع سعر التمر في رمضان في بلادنا " المؤمنة " إلى عدة أضعاف؟! ، لماذا ترتفع أسعار الملابس في أعيادنا رغم سوء خامتها وسوء تصميمها وسوء صباغتها التي قال المتخصصون أنها مسرطنة؟! لماذا ترتفع أسعار تذاكر السفر في موسم الحج إلى عدة أضعاف ، رغم أن أسعار الإقامة في أماكن التعبد لا تبرز تلك الأسعار؟! ..

قد يقول قائل من هؤلاء " المؤمنين " أن الأمر هو عرض وطلب وأن قوى السوق هي التي تحدد الأسعار ، هذا قول مردود عليه لأن السلعة من المنبع تخضع للاحتكار واستغلال الظروف التي يمر بها المواطن ..

من الواجب شرعا على الحكومة السعودية أن تقدم برنامجا للحج بسعر تكلفته ، خاصة وأن الله قد فتح عليهم بالخير الوفير ، والذي ندعو الله بدوامه عليهم ..

إذا نظرنا إلى أسعار تكلفة الحج للطبقة الفقيرة فسنجد أنها بحدود سبعة آلاف جنيها مصريا ، وضعف هذا الرقم للطبقة المتوسطة ، ونفس المتواليات ستطبق على الطبقة الغنية ، أي أنها ستدفع ثلاثين جنيها مصريا للحج .. إذا نظرنا إلى نسبة الفقراء في الدول الإسلامية بصورة عامة فسنجد أنها بحدود 40 % ، وسنجد أن نسبة الطبقة المتوسطة بحدود 55 % ، بينما نسبة الطبقة الغنية بحدود 5 % ..

قد يقول قائل أنه لو طبقت الحكومة السعودية أسعار التكلفة التي ذكرناها على أرض الواقع فستحدث هجمة غير مسبوقه في موسم الحج وقد يقفز الرقم إلى عشرة ملايين حاج على الأقل ، وهو ما لا تتحمله البنية التحتية هناك ..

من الممكن في حال تطبيق أسعار التكلفة أن تضع الحكومة السعودية قوانين خاصة لتنظيم عملية الحج ، وأهم هذه القوانين هو وضع

شرط الأولوية لما هو فوق الستين ، وأن يصحب هذا الشرط شرط آخر وهو أن يتم الحج لمرة واحدة فقط .. ستضمن لنا التكنولوجيا الحديثة التي نستوردها عن آخرها من الدول " الكافرة " – وضمنها سجادة الصلاة من الصينيين الملحدين - السيطرة الكاملة لتجنب التلاعب بشهادات الميلاد أو ضمان عدم تكرار الحج ، وسيحدث انتعاش غير مسبوق للعمرة طوال العام لعدم وجود الشرطين السابقين بها (من الممكن أن وضع شرطيين مشابهين لما سبق ذكره لعمرة رمضان لتجنب التكسب) ..

أنظر إلى التعامل مع الخادمت في بيوت تلك الدول المسيحية " الكافرة " ، وقارن بين ذلك وبين ما يحدث للخادمت في الدول الإسلامية " المؤمنة " ..

الخادمة في تلك البلاد المسيحية " الكافرة " تزاوّل عملاً محترماً كأى عمل آخر ، حقوقها وواجباتها معروفة ، وأي إخلال بتلك المعادلة سيوجب على الفور التدخل القانوني لإعطاء الحقوق ومحاسبة المقصرين ..

تعتبر الخادمة في بلادنا الإسلامية " المؤمنة " ضمن ممتلكات المنزل ، وعلى صاحب المنزل وحده أن يقرر كيفية استمتاعه بها ، بين الحين والآخر نقرأ بالصحف قصصاً مروّعة عن خادمة من الفلبين أو تايواند أو إندونيسيا ألقت بنفسها من شرفة المنزل الذي تعمل به ، ثم يُقَطَّر الخبر تقطيراً أسباب فعلتها .. يحدث أحياناً ذلك في الغرب مع عائلات إسلامية ، لكن سرعان ما تتكشف الحقيقة التي دفعتها إلى الانتحار ، وهى – فى أغلب حالاتها – تدور حول استعبادها (حبس انفرادي ، استغلال جنسي ، عدم إعطائها حقوقها) ..

أنظر إلى المنح التعليمية المجانية التي تقدمها الدول المسيحية " الكافرة " إلى الطلبة الفقراء والمتفوقين والمميزين رياضياً ، قارن ذلك بما تفعله الدول الإسلامية " المؤمنة " للطلبة من مواطنيها ..

في بلادنا الإسلامية " المؤمنة " يعاقبون الطلبة الفقراء ويبتكرون الأساليب لقتل الإبداع والتفوق عند المميزين منهم ، بينما تبتكر الجامعات في تلك الدول " الكافرة " أساليب إنسانية لتقديم المنح التعليمية المجانية ، حتى لغير الفقراء وغير المتفوقين وغير الرياضيين .. من هذه الأساليب على سبيل المثال أنهم يبحثون عن العنصر النادر ويقدمون له تلك المنح المجانية ، فهناك جامعة تبحث عن عدد من الطلبة من أصل هندي أمريكي لتعطيهم منحة تعليمية مجانية ، وجامعة ثانية تبحث عن عدد من الطلبة من أصل آسيوي ، وثالثة تبحث عن عدد من أصل أسود ، ورابعة تبحث عن عدد من عرق ياباني ، أو ربما مصري أو لاتيني ، وهكذا ..

أنظر إلى مستوى النظافة في شوارع الدول المسيحية " الكافرة النجسة " وقارن بينها وبين أقوام القمامة في شوارع الدول الإسلامية " المؤمنة الطاهرة " ..

عليك أن تبتعد قليلاً عن القصر الجمهوري ثم ادخل الشوارع المجاورة له ، ستجد أكوام القمامة وعليها جيوش مدرعة من الذباب ، ماء النيل في مصر أصبح أسناً ، وأصدرت منظمة الصحة العالمية قراراً بشأنه بأنه لم يعد صالحاً للشرب الحيواني .. يستطيع المسافر على طائرة مصر للطيران في خط القاهرة نيويورك أن يدخل دورة مياه الطائرة قبل هبوطها بساعة – خاصة في رحلة العودة إلى القاهرة – ليقف على حجم المأساة التي يعيشها " المؤمنون " في حياتهم الخاصة ..

أنظر إلى العلاقة بين الإنسان والحيوان في تلك الدول المسيحية " الكافرة " ، وقارن بينها وبين مثلتها في الدول الإسلامية " المؤمنة التي تتصف بالرحمة " ..

هنا في ولاية ميزوري حيث أعيش – وفى الغرب بصورة عامة – يحرص الناس على اقتناء الكلاب والقطط لتعيش معهم بمنزلهم ، ويخصصون جزءاً ثابتاً من دخلهم لشراء ما لذ وطاب من طعام وشراب لهم ، فى كل سوبر ماركت – الكثير منها بحجم ملعب كرة قدم وأمامه مساحة للسيارات بمثل ذلك - تحرص الإدارة على تقديم أفضل أنواع تلك الأطعمة والمشروبات تذوقاً أو لمحاربة السمّة لتلك الحيوانات ، فى الصباح الباكر أو المساء تجدهم يصحبون كلابهم للتنزه وفى يد كل شخص منهم كيس ليضع به فضلات الكلاب ، حتى يحافظ على نظافة الشوارع والحدايق العامة أو الخاصة ..

فى بعض الأحيان تلاحظ أن أحد الجيران من هؤلاء " الكفرة " يبدو حزينا ، تسأله عن السبب فيقول لك أن كلبه مصاب باكتئاب ويرفض الخروج للتنزه ، أو أن القطّة التي تعيش معه ترفض تناول الطعام ..

كما تنتشر اليافطات في الشوارع لتحذر قائدي السيارات من توخي الحذر للحفاظ على الحيوانات الأليفة أثناء قيادة السيارة ، ففي النهار توجد أسراب البط التي تتجول بحرية بين الطرقات ، وفي الليل تدخل الغزلان المناطق السكنية لتبحث عن طعام في صناديق القمامة ..

في صيف العام الماضي كنت داخل سيارتي أنتظر زوجتي أمام السوبر ماركت ، لاحظت أن شيئاً يتحرك تحت إحدى السيارات المتوقفة بجواري ، أمعنت النظر فوجدت بطة مع أولادها الخمسة تستظل من شمس الصيف تحت تلك السيارة ، بدأت أستعد لكتابة ورقة لوضعها على نافذة قائد تلك السيارة حتى ينتبه لذلك عند خروجه من السوبر ماركت ، إلا أن " كافرا " كان يراقب الوضع مثلي من سيارته سيقى وعلق على السيارة رسالة تحذيره ..

في صيف العام الماضي أيضا فقدنا كل الخضروات والفاكهة التي زرناها بحديقة المنزل ، يأتي الغزال في المساء فيدخل تلك الحدائق التي بلا أسوار ، أو تفقر الأنواع الخفيفة منه فوق الأسوار وتلتهم كل ما لذا وطاب ، وأحيانا يحدث ذلك بالنهار وأمام أعيننا ، فأرقام المتخصصين " الكفرة " تقول أن هناك أربعين مليون غزالة تتجول بين ولايات أمريكا الخمسين ..

منذ أسبوعين كنت أقود السيارة مع صحبة ابنتي في الطريق إلى الجامعة التي تدرس بها ، كنا متأخرين ولا وقت عندنا ، فاجأنا موكب من البط كان يعبر الشارع ، توقفت السيارات من الجانبين ، انتظرنا بصبر ليعبر البط إلى الطرف الآخر من الشارع ، دعونا الله ألا يحدث الأسوأ لكنه حدث ، رفض البط العبور وقرر الجلوس في وسط الشارع ..

انتظرنا عدة دقائق وخلفنا عدة سيارات تنتظر معنا ، وأمانا مثل ذلك على الجانب المقابل ، خرجت ابنتي تستأذن البط في العبور حتى نلحق بالجامعة ، لم يتعد الأمر الاستئذان ، لكن إحداهن تصدت لها فمدت رقبته وجرت خلفها ، ومثلها فعل بقية الفريق .. هربت ابنتي وعادت إلى السيارة دون طرف من حذائها ، كان لابد من خروجي من السيارة كي أستعيد هذا الطرف ..

عاد البط بمعاودة الهجوم عند رؤيتي ، كان الأمر مختلفا معي ، فأنا ابن حارات مصر ، وأغنية المطربة صباح مع البط لا تفارقني كلما رأيتهن وهن يتمايلن ذات اليمين وذات الشمال ، أمسكت بقائدة فيلق الهجوم وعبرت بها الشارع ، انتظرت هناك وجناحيها بقبضة يدي حتى لحق بها بقية فريق البط المدلل ، أطلق المنتظرون بلجانين صرخات الفرح والتأييد لي ، فقد فتحت لهؤلاء " الكفرة " الطريق ..

علينا أن نعود إلى المخزون في ذاكرتنا لنعرف ما يحدث في بلادنا " المؤمنة " للحيوان ، لو ذكرنا القطط والكلاب فحدث ولا حرج ، فهم في حالة عدو مستمر ، وهو ليس عدوا بغرض التريض ، بل هروبا من المصير الذي نعرفه ، وهو القتل رجما على يد أحد أبناء " المؤمنين " ، تنظر إليهم وهم في عدوهم فتلاحظ أنهم يلهثون جوعا أو عطشا أو خوفا ، ينظرون يمينا ويسارا وبأسرع كثيرا مما يفعله مشاهدوا مباريات التنس العالمية ، لو قُدر لتلك الحيوانات أن تتكلم لغتنا ، فسوف نسمعها تسأل نفسها وهي تبكي " هل سأقتل اليوم ؟ " ..

علينا أن نتصور الموقف لو تجرأت بطة عابرة من أوربا إلى أفريقيا ، فنزلت تستريح من وعناء السفر على شجرة من أشجار مصر النحيف إلى حد الهزال ، فلمحها أحد أبناء " المؤمنين " ..

علينا أن نتخيل موقفا لو نظر أحدنا حوله فوجد غزالة نجحت في سباق العدو إلى المجهول فاخترقت الصحراء المصرية ودخلت الوادي المتسربن وحطت برحالها أمام مستشفى الجلاء بالقاهرة ، أو في أحد شوارع ميت عقبة ، أو حتى في جاردن سيتي ، الثابت أنه ستكون هناك عدة حوادث للسيارات بسبب التسابق وراء الشاردة سيئة الحظ ، وربما سيكون مصيرها ليس ذبحا بل نفوقا أو اختناقا بين أيدي المتعاركين ..

أمجاد يا عرب أمجاد ، آمين !! ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي ..:

www.thowarmisr.com